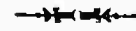


بين الأستاذين

أحمد أمين وزكي مبارك

للأستاذ عبد المتعال الصعیدی



قلت في مقال السابق إن الدكتور زكي مبارك يجب أن يكون آخر من يدافع عن الأدب الجاهلي ، وإنما قلت هذا لأنه هو وأستاذه الدكتور طه حسين لا يؤمنان بصحة ذلك الأدب ، والدفاع عن الشيء لا يكون إلا بعد الاعتقاد بصحته ، فقد ألف الأستاذ طه حسين كتابه (في الشعر الجاهلي) وكان أكبر جنافية على أدب الجاهلية ، إذ أنكر فيه صحة ذلك الأدب ، وقلد في هذا الرأي أهداء الأدب العربي من المستشرقين ، فلم يكن من الدكتور زكي مبارك إلا أن احتفل بظهور ذلك الكتاب ، وعده نتحاً جديداً في الأدب العربي وقال في هذا من جريدة البلاغ الأسبوعي (٣ ديسمبر سنة ١٩٢٦) : « كان كتاب الشعر الجاهلي الذي ألفه أستاذنا الدكتور طه حسين فاتحة لمهد جديد في دراسة الآداب العربية ، وحسبك أن ترجع إلى ما كتب في مقدمته من الرسائل المطولة ، والأسفار الضخام ، ترى كيف أثار ذلك الكتاب ما خد من القرائح ، وكيف أيقظ ما جمع من العقول »

والفرق كبير بين رأي الأستاذ طه حسين في الأدب الجاهلي ورأبي ورأي الأستاذ أحمد أمين فيه ، فالأستاذ طه حسين يرى في رأيه إلى الهدم والطمس في ثقة السلف ونحن نرمي إلى الإصلاح ونريد تقويم اعوجاج الأدب للعربي ، وهذه غاية نبيلة يكاد علماء الأدب يتفقون الآن عليها ، لإجماعهم على أن الأدب العربي في حاجة إلى الإصلاح ، وعلى أن إصلاحه يجب أن يكون من الناحية التي أشرنا إليها ، حتى لا يكون أدب ألفاظ مزوقة وممان خيالية لا طائل تحتها

ومن الغريب أن الدكتور زكي مبارك يؤمن أيدناً بذلك

الإصلاح ، ويدعو إليه في كتابه (النثر الفني) ولكنه ينسى ذلك في حب التغلب على الأستاذ أحمد أمين ، ويأخذ عليه تهوينه من شأن التشبيه وما إليه من المعاني الثانوية ، ومما جاء في ذلك الكتاب : ونحن نرمي أن سر الفصاحة والبلاغة يرجع إلى ما في المنى من قوة وروح ، وقد نجد من الشعر ما تخلو معانيه وألفاظه من الروعة الظاهرة ، ولكن قوة الروح تصل به إلى أسنى غايات الإبداع ، ومثال ذلك قول حطآن بن المصلّى يشكو فقره ، وما وضع القدر في رجليه من قيود الأهل والذرية :

أُنزِلني الدهرُ على حكمه من شامخ عال إلى خفض
وغالني الدهر يوقر الفنى فليس لي مال سوى عرشي
أُبكائي الدهر وبأربما أضحكني الدهر بما يرضي
لولا بُنيات كزُغيب القطا

رُددت من بفض إلى بفض
لكان لي مضطرب واسع

في الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض
لو هبَّت الريح على بعضهم لامتمت عيني عن الفسح
فقدرة هذا الشعر ترجع إلى الشاعر لا إلى اللفظ ، ولا إلى الأسلوب . ومن ذلك يتضح أن من يزعمون أن القرآن ليس من جنس كلام العرب لم يفهموا شيئاً من أمرار الإعجاز ، ولذلك تراهم يدورون حول الظواهر والمحسنات اللفظية ، ويرجمون في ذلك إلى الناحية اللفظية أو الفنية ، ونحن نرمي غير ذلك ، فنرى أن محمداً عليه السلام اجتذب العرب لأنه نبي ، ولم يجذبهم لأنه فنان ، فالفن الكلاسي لم يكن جديداً عند العرب ، وإنما كان الجديد عندهم أن يأتيهم رجل منهم بأساليب من الفكر والعقل والوجدان غير التي كانوا يألّفون ، ومن العيب أن نظن أن البلاغة لا تخرج عن المناورات اللفظية ، فإن هذا إسراف في تقدير الزخرف ، وإمهال لصولة العقول ، إن الألفاظ في مقدور كل شاعر وكل كاتب وكل خطيب ، ولكن المعجز حقاً هو الفكرة . وليس معنى هذا أننا لا نقيم وزناً للصناعة اللفظية ، ولكن معناه

بد من اعتبار ذلك أيضاً فإنه لا يكون بيننا وبينه فرق فيما ندع
إليه من ذلك الإصلاح ، ولا يكون له حق في تلك الحملات
القاسية التي تقف عقبة في سبيل غايتنا جميعاً

هذا وإذا كنت اقتصررت في أول هذا المقال على موقف
الدكتور زكي مبارك من كتاب (في الشعر الجاهلي) فلأني
أحببت التفرق به ، ولم أشأ أن أذكره بمواقف له جاري فيها
أستاذه في الجناية على الأدب الجاهلي ، وذهب إلى الشك في صحته
كما ذهب إليه قبله ، وتلك هي الجناية على الأدب الجاهلي حقاً ،
لا ما ذهبنا إليه من ذلك الإصلاح ، والله الهادي إلى الصواب .
عبد المتعال الصعيدي

أنتنا نقرر أن الفكرة نجىء أولاً ، ويحيى الورق ثانياً ، كما يقول
الله نسيون »

وإنما أطلت النقل من كتاب (النثر الفني) لأقيمه دليلاً
قاطعاً على أن الأستاذ زكي مبارك لا يؤمن بتلك الناحية الفنية التي
أخذ على الأستاذ أحمد أمين سهرته من أمرها ، ويكاد يتفق معه
في أن الشأن في ذلك لقوة الروح والفكرة ، ومن الإنصاف
أن نذكر أن الأستاذ زكي مبارك لا يفرق في ذلك بين قوة الروح
في الخير والشر ، ويرى أن للشاعرية روح يتمرد به الشاعر فيهب
نفس القاريء أو السامع هزاً عنيفاً يحمله على أن يؤمن وهو طائع
ذلول بما يدعو إليه الشاعر من تزيين الإثم والبنى ، أو تقييح
النبي والفسوق ومن الأول قول ديك الجن :

لما نظرت إلى عن حدق الدنيا وبسمت عن مفتتح الشوار
وعقدت بين قضيب بان أهيف وكثيب رمل عقدة الزنار
عفرت خدي في الثرى لك طائماً وعزمت فيك على دخول النار
ومن الثاني قول ممن بن أوس :

لعمرك ما أهويت كفى لربة ولا حملتني نحو فاحشة رجلى
ولا قادني سمي ولا بصرى لها ولا دلني رأي عليها ولا عقلي
وأعلم أني لم تصبني مصيبة من الدهر إلا قد أسابت فتى قبلي
ولست بمأش ما حيت لنكر من الأمر لا يمضي إلى مثله مثلي
ولا مؤثر نفسي على ذي قرابة وأورز ضيق ما أقام على أهلي
ولكننا لانحب للدكتور زكي مبارك أن يعضي في ذلك إلى حد

التسوية بين روح الخير وروح الشر في الشعر ، فيجعل قول
ديك الجن مثل قول ممن بن أوس بعد اتفاقهما في قوة الروح ،
لأنه يبقى بعد هذا شرف المعنى والفرض وهو مما لا بد من اعتباره
أيضاً في المفاضلة بين شعر وشعر ، أو كلام وكلام . ولا يمكن
الدكتور زكي مبارك أن ينكر هذه الناحية في الموازنة الشعرية ،
فقد ذكرها في قوله تعالى : (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ
عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوْا) ، فجعل الفضل فيه لهذا النصح النبيل والمعنى
الشريف والدعوة إلى إظهار العدل في جميع الأحوال ، من غصب
وسكون ، رحب وشنان ، وإذا لم يكن للدكتور زكي مبارك

رسالة

عبد الوهاب

صفحات من البيان الممتع سجل فيها الدكتور عبد الوهاب
عزام ما رآه وما أوحى إليه أسفاره في البلاد العربية
والإسلامية : (الحجاز ، والشام ، والعراق ، وتركيا ، وإيران)
وفي أوربا ، مع بذ من تاريخ هذه البلاد ، وطرف من
عواطفه العربية والإسلامية . وجعله في أسلوب بليغ سهل
يفيد ناشئة الأدب ويجدى على المتأدين .

وقد طبع في مطبعة الرسالة في نحو ٤٠٠ صفحة تتضمن
كثيراً من الصور .

ونته ١٢ قرشا ويطلب من مجلة الرسالة
ومن لجنة التأليف والترجمة والنشر

من وراء المنظار

كر نفال ! . . .



أبدأ لا تقع عيناي أو لا يقع منظاري على هذا الذي أحدثك عنه إلا اعتلج في نفسي شعور من الهم والخزي يلانمني فترة طويلة بعد فوات النظر ، ويتجدد كلما تجدد في خاطري طيفه ، وأنا أكتب هذا على أثر رؤية جديدة لذلك للنظر الذي أنكره أشد الإنكار ، وما أزال أزداد إنكاراً له في كل مرة عني في سابقها . وإنما أكتب لأدعو القاري إلى أن يغضب مني ، فإن لم يغضب ، ومصر على هذا الذي أقول من الكرام ، فلا شك عندي أنه قوى الأعصاب جداً — على أحسن تعبير — قوة لا أدرى أيحمد عليها أم يذم من أجلها ؟ !

على أنني لا أشك في أن كثيراً من القراء غضبوا مثلما غضبت وسيفضون كما وقعت أعينهم على ذلك المنظر البغيض ، منظر جنازتنا « البلدية » في أجل وأعظم أحياء القاهرة العظيمة مهبط السائحين في الشتاء من أنحاء الغرب والشرق ! . . .

وللقاري أن يخطر في باله صورة لجنائز من هاتيك الجنائز . . . فهناك في الطليعة أعناق من الناس منهم من يرتدون هلاهيل من القماش كانت من قبل جيبة وقفاطين ، ويضمون فوق رؤوسهم ما يشبه اللهايم ، أو ما يصح أن يكون أبلغ صورة هزلية للهامية ، وكأنما يقول الواحد منهم « متى أضع الهامة تمرقوني » فهو كما أنجيل بل كما أ كاد أعتقد يتخذ هذه الهيئة عن عمد ليكون جديراً بأن يظهر في الطليعة ! وأنا أرى أبدأ هذا الصنف من الخلائق على أشكال متفاربة في سورها .

ويندس بين هؤلاء « الفقهاء » الحق فريق من « الجدعان » من أهل الحى الذي خرج منه البت وهم يخطرون جميعاً في جلايلهم « البلدية » ، وإعانتهم رؤوسهم بأشكال من الطواق و « اللاسات » وما شئت من أنواع « الكليوش » وألوانه . . .

وينطلق هؤلاء وهؤلاء في نشاط عجيب ، وقد تأبط كل منهم ذراع جاره ، ويطلقون حناجرهم بأفزع الأصوات وأنكرها ،

يستجمعون لها كل قواتهم ، وعمضون في ترديد عبارة حفظوها ، أو يفتنون بورد من الأوراد ، لا يقترون ولا تكل حناجرهم أبداً ، كل أولئك وهم يتمايلون ويتسابقون في النقيق على صورة أجدر أن تكون فرحاً في موت هذا الذي يحملونه من أن تكون حزناً عليه ، وإلا فكيف يكون هذا الزعيق وهذا التهرج حزناً في أى وضع من الأوضاع ؟ !

ولو أن متفتناً في التهرج أراد أن يحشد « كرفالاً » من المهرجين لما تعلق خياله بأبلغ وأروع من ذلك الكرنفال الجنائزى ونأى بعد ذلك الآلة الحدياء بحف بها من رهبة الموت وجلاله ما لا يتفق مع هذا التهرج المنكر أمامها . . . ومن ورائها ذيل أسود طويل يفيض لعله أشد نكراً من الطليعة ؛ هؤلاء النسوة اللاشيات أو الراكبات عربات « الكارو » ، ومنهن من تدور طرحها حول عنقها كالخيل ، ومنهن المصفقة كفاً بكف ، والشجرة بمندبلها إشارات عجبية مزججة مكا ، والمولودة المترنحة ذات اليمين وذات الشمال ؛ وأفزع من هؤلاء الصابغات وجوههن « بالنيلة » في شكل لا يمكن أن يتخيل منه أنهن ينتمين إلى بنات حواء . . . ولا أريد أن أزعج خاطرك — أيها القاري — بوصف أصواتهن التي تسمى مع ذلك الزعيق في المقدمة نشاراً على نشار ، وشناعة على شناعة . . .

وبعد ، فهل في هذا شيء يتفق مع الدين أو يجوز في عرف معقول أو يليق بسمعة أمة ؟ . . . ولشد ما يوجع نفسي أن أذكر وأأسفاه أنى رأيت مثل هذا المنظر مرتين في أسبوع واحد أمام دار الآثار ساعة « انصراف السائحين » ؛ فحالت نفسي والألم والخزي يحزان في صدري : ماذا عسى أن يقول هؤلاء عن حياتنا الاجتماعية إذا رحلوا إلى قومهم ؟ وهل هم يرون « الأنيكة » التي جاءها نبروها داخل « الأنيكخانة » حقاً ؟ أم أنهم يرون ما هو أبلغ في معناه منها في شوارع العاصمة الكبيرة ؟ !

يا وزارة للشئون الاجتماعية . . . هذا والله في صميم الشئون الاجتماعية . . . شئى هذا المنظر إلى حيث لا يعود ، فهذا لمرى وعرك خير من إنشاء ألف حديقة في هذه المدينة أو نشر ألف صحيفة من صحف الدعاية عن مصر والمصريين .

« عيسى »

الثقافة العسكرية

وأناشيد الجيش

للأستاذ عبد اللطيف النشار



في الثورة المصرية

ولقد سمر بك أن « المتطوعين » المصريين في الحرب الكبرى لم يجدوا من يضع لهم أناشيد تعرب عن آمالهم ، فوضوا لأنفسهم تلك الأناشيد كما تخرج الأرض المهجورة زرعها « الشيطاني » ، وكان بعض الذي وضعوه نظماً ولحناً مما يستحق الإعجاب لدلالته على خوالج نبيلة كالشوق إلى الوطن ، وكالشكوى من تحكم السلطة العسكرية إذ ذاك في التجنيد باسم « التطوع » .

ولقد قرأت في بعض الصحف الإنكليزية على أثر الثورة المصرية بحثاً ضافياً عن أسباب تلك الثورة ، وقد عدّ كاتب ذلك البحث مسألة « التطوع الإجباري » من أهم المسائل التي أدت إلى الثورة واستدل على ذلك باللحن الذي أشرنا إليه في المقال السالف ونشره بلفظه العربية بأحرف إنكليزية مع ترجمته إلى تلك اللغة ، وهكذا كانت ترجمته :

O! My native Town! O! My native Town!
The Military Authority has taken my boy

والنص هو :

بلدي يا بلدي والسلطة خدت ولدي

ومن البديهي أن الذين كانوا يتغنون بهذا النشيد ليسوا هم الذين أخذت السلطة أولادهم ، ولكنهم هم الأولاد المأخوذون ركان المأخوذة أولادهم مقيمين في مصر ، أما الذين يرددون هذا اللحن فكانوا بمداء عنها يتحرقون تشوقاً إليها بدليل البيت الآخر وهو :

يا عزيز عيني وأنا بدى اروح بلدي

ولكن هكذا الشعر الذي ينال شرف السيرة لا يمكن إلا أن يكون صادق التعبير عن البيئة التي صدر عنها .

وكان هؤلاء « المتطوعون » يعبرون عن مصر كلها لا عن الفريق المتطوع حيناً وضموها هذا اللحن الذي سار والذي

استدل به الباحثون فيما بعد عن أسباب الثورة المصرية ، كما يستدل الطيب بالنفض على حركة القلب .

وكذلك الشعر لم يكن قط قلباً للأمة ، ولكنه نبضها الذي يستدل به على حالة ذلك القلب . وهذه الحقيقة هي أساس النقد الحديث الذي يذعن له النقاد منذ وضع سانت بيث كتابه « تاريخ الحضارة الإنكليزية كما يظهر من خلال أدبها » .

ولم يكن المتطوعون في الحرب الكبرى كلهم من طبقة واحدة ولا كان تطوعهم ذا صبغة واحدة ، ولا كانت أغراضهم واحدة ، ولكن كانت الكثرة كما تقدم وصفها ، وكان فيها فريق تطوع بحض الرغبة فراراً من الفتك الاقتصادي وطمعاً في القوت .

وكان هذا الفريق من لابس « الملاهيل » ، وقد أبت طبيعة الأشياء إلا أن يسجل هذا الفريق من البؤساء على جبين الزمن شكواه من ذهابه للقاء الموت من أجل الكساء الذي يستر المورة ولم توفق مصر إلى شاعر من أبنائها يحس إحسان هذا الفريق فيمير عن مشاعره . فأعرب هؤلاء الراع عن مشاعرهم ولحنوها بأنفسهم (ولا الحوجة للشعراء والموسيقين) .

وهكذا كان في متطوعي السلطة في الحرب الماضية مصريون كالمرأة ينشدون هذا النشيد :

« ياللي رماك الهوى حود على الكامبو

يقلموك الملاهيل ولبسوك البلطو »

ومن الذي تراه كان من شعرائنا أو موسيقينا يستطيع أن يقول ذلك القول أو يلحنه ؟

لقد صكنا ...

ولا نسل كيف كنا ...

تعاطى من الهوى ما نشاء ...

كان شعراء مصر في ذلك الحين يشربون الكوكيتيل أو الويسكي على الأقل !

هل تصدق أنني كتبت في سنوات الحرب أنقاضي مرتبي من وظيفتي في الحكومة ، وكان مضافاً إليه علاوة الحرب مماثلاً لمرتبي الآن ؟ لقد ترقيت ترقية طبيعية في مسافة العشرين عاماً بين الحريين ولكن الترقية في مسافة عشرين عاماً لا تكاد تبلغ المائة في المائة التي كنا نقاضاها علاوة حرب ، وكان في الشعراء